الميديا الجديدة والمنظومة القيمية والأخلاقية والقانونية للشباب
دراسة وصفية على عينة من مستخدمي الفيسبوك بالجزائر العاصمة

of young people The new media and value system and ethics and legal
A descriptive study on a sample of Facebook users in Algiers

تاريخ إرسال المقال : 2018/01/30 تاريخ قبول المقال للنشر: 2018/02/13

أ. بصافة أمينة / جامعة الجزائر3

ملخص :

تسعى هذه الدراسة إلى التعرف على أثر استخدام وسائط الإعلام والاتصال الجديدة (شبكات التواصل الاجتماعي) على النسق القيمي والأخلاقي للشباب الذي يعكس هويتهم ويسير وفق احترام قانون الإعلام، فهذا الجيل هو الجيل الشبكي الذي نقل حضوره من العالم الواقعي إلى العالم الافتراضي، حيث امتزج الاتصال الشخصي والجمعي والجماهيري في بيئة الويب أين تم إعادة تشكيل الحياة اليومية السوسيوثقافية والاتصالية للفرد، وبالتالي إحداث تغيرات على مستوى المنظومة القيمية والأخلاقية التي تكوّن سلوك الفرد وهويته.

وضمن هذا السياق البحثي طرحت هذه الدراسة الإشكالية التي مفادها فيما تتجلى آثار استخدام شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك على النسق القيمي والأخلاقي لشباب الجزائر العاصمة في ظل احترام قانون الإعلام؟، وللإجابة عن هذه الإشكالية عمدنا إلى القيام بدراسة ميدانية على عينة من شباب العاصمة المستخدمين لموقع شبكات التواصل الاجتماعي الفيسبوك والذين يقدر عددهم بـ 201 مفردة، وذلك بهدف الوصول إلى الكشف عن آليات واستراتيجيات لتعزيز القيم والأخلاق التي تعكس هوية الشباب الذين يعبرون عن آرائهم بحرية ضمن الإطار القانوني الذي يكفله المشرع الجزائري.

الكلمات المفتاحية : الميديا الجديدة ، النسق القيمي ، حرية التعبير، قانون الإعلام ، الهوية ، مواقع التواصل الاجتماعي .

Abstract :

This study seeks to identify the impact of the use of the new media and communication (social networks) on the moral and moral values of young people, which reflects their identity and follows the respect of the media law. This generation is the networked generation that transferred its presence from the real world to

the virtual world. In the web environment where the daily sociocultural and communicative life of the individual has been reshaped, thus bringing about changes in the value system and ethics that characterize the individual's behavior and identity.

Within this research context, this study presented the problem of the effects of the use of the social network Facebook on the moral and moral values of the youth of Algiers under the respect of the media law. To answer this problem, we conducted a field study on a sample of the youth of the capital Social Network, with an estimated 201 individuals, with the aim of identifying mechanisms and strategies to promote values and ethics that reflect the identity of young people who express their views freely within the legal framework guaranteed by the Algerian legislator.

key words: New Media, Value Architecture, Freedom of Expression, Media Law, Identity, Social Networking Sites.

مقدمة:

يعرف العالم اليوم بداية عصر جديد يطلق عليه عصر المعلومات، حيث تحولت المجتمعات الحديثة من مجرد الاهتمام بإنتاج السلع والخدمات إلى توجيه اهتمام متزايد إلى قطاع المعلومات، وظهرت صناعة جديدة تسمى صناعة المعلومات، وقد صاحب ثورة المعلومات ثورة أخرى وهى ثورة الاتصالات، وأصبحت البطولة الرئيسية للحاسبات الإلكترونية.

ويشكل الفضاء الافتراضي أهم إنجازات ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي شهدها العالم، فالتطور المذهل لشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) وانتشار التقنيات الجديدة للاتصال، وتزايد تطبيقاتها في مجال الإعلام والاتصال، ساهم في ظهور نوع جديد من الإعلام، وهو الإعلام الإلكتروني، الذي يعتبر ظاهرة إعلامية جديدة يتميز بسرعة الانتشار والوصول إلى أكبر عدد من الجمهور المستخدم في أقصر وقت ممكن وأقل تكلفة، مما تطلب وضع قوانين حول أخلاقياتها ، وحماية حرية التعبير ضمنها .

ومع تنامي اعتماد الأفراد على الإنترنت وتطور المواقع تعددت الاستخدامات من التصفح للبريد الإلكتروني ثم المنتديات وغرف الدردشة والرسائل النصية والفورية والمدونات حتى ظهرت المواقع الاجتماعية كمصطلح أطلق علي مجموعة المواقع الالكترونية التي ظهرت مع الجيل الثاني للويب، وأتاحت التواصل مع مجتمع افتراضي، ولعل أشهرها وأكثرها استخداما

الفيسبوك، والذي تجاوز مستخدموه الشباب أكثر من 42%، نظرا لما وفرته لهم من بنية تفاعلية افتراضية احتلت مساحة واسعة في وقت وفكر واهتمام ووجدانهم وعقولهم وخاصة بعد نجاحها فى جذب واستقطاب العديد من الفئات العمرية دونما اعتبار للفوارق الجغرافية والدينية والعرقية والجنسية والسياسية والاقتصادية، ليمتزج الاتصال الذاتي والشخصي والجمعي والجماهيري في بيئة واحدة أعادت تشكيل الحياة الاجتماعية والاتصالية للفرد الذي استخدمها ضمن الأطر القانونية ، وساهمت في التأثير على منظومة القيم والأخلاق التي تكوّن سلوكه ، كونها تنقل مختلف الثقافات التي تحتك ببعضها ، وتؤثر وتتأثر بغيرها في ذات الوقت.

المبحث الأول : المقاربة المنهجية للدراسة

المطلب الأول : إشكالية الدراسة

استطاعت مواقع شبكات التواصل الاجتماعي خاصة الشبكة الزرقاء الفيسبوك أن تخلق مجالا عاما أحدث تغيرات على النسق القيمي الأخلاقي للشباب كونها الفئة الأكثر تأثرا بكل ما هو جديد، وأكثر انبهارا بالثقافات الواردة، فالشبكة الزرقاء نجحت في إحداث تغييرات جذرية على مستوى الممارسات الثقافية والأخلاقية والقيمية في ظل احترام الأطر والمعايير القانونية الحاكمة لها، ولم تنج من هذه التأثيرات المجتمعات ذات البنى الاجتماعية التقليدية والثقافات المحافظة كالجزائر، أوتلك التي تعيش حراكا دائبا على المستوى الاجتماعي وانفتاحا على المستوى الثقافي كفرنسا، وهو ما يطرح العديد من الأسئلة حول نوعية واتجاه هذه التغييرات التي لا تعبر بالضرورة عن أشكال من التفاعل الحقيقي بين وسائط الاتصال الجديدة والمضامين التي تمررها، وبين المجتمعات والثقافات التي تخترقها هذه الوسائل أو انفتحت طوعا عليها[1].

وعلى إثره أصبحت مواقع شبكات التواصل الاجتماعي خاصة الفيسبوك تتخلل عالمنا الرمزي كقوة ثقافية محملة بقيم متميزة في عصرنا الحالي، فقد كان عدد مستخدمي الأنترنت في الجزائر 150.000مستخدم سنة 2000، ليرتفع سنة 2001 إلى 200.000 مستخدم[2]، في حين وصل عددهم إلى 500.000 مستخدم سنة 2002، أما سنة 2003 فقد قدر عددهم بـ 600.000 مستخدم ، ليقفز العدد إلى 1.500.000 سنة 2004 ليصل إلى 1.920.000 مستخدم سنة 2005[3]، وتزايد العدد سنة 2011 إلى 06 مليون مستخدم.

وفي مقابل هذه الحصيلة الهائلة للاستخدام تعتبر ثقافة الدول الانتقالية بصفة عامة، والثقافة الجزائرية بصفة خاصة ثقافة قومية غير قادرة على مواجهة ثقافة الأنترنت، فالشباب في الجزائر انقسموا حول هذه النقطة، فمنهم من انغلق على ذاته ورفض التعامل مع الثقافة الكونية لا من قريب ولا من بعيد ولجأ إلى التراث والتاريخ وتجاهل ما يحدث في العالم، إلا أن الثقافة الكونية لها قدرة هائلة على اختراق المجتمعات، أما القسم الثاني فقد انغمس في هذه الثقافة ، وتشرب من كل خصائصها، وبذلك فإنه يكون قد استسلم لها ولم يجابها، أما القسم

الثالث فقد استفاد من الجوانب الإيجابية وتجنب جوانبها السلبية[4]، واستخدامه مرهون بالأطر القانونية والأخلاقية ، والقيمية للمجتمع الجزائري.

وفي ظل هذا الطرح بين الانبهار بالقيم التي تحملها الشبكة الزرقاء ، والتخوف من انعكاساتها على النسق القيمي والأخلاقي لشبابنا طرحنا مجموعة من تساؤلات تعبر عن قلق وهاجس تحتاج إلى وضع أجوبة قد تفيد في حل إشكاليتنا ، والتي تتمحور حول آثار استخدام شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك على تشكيل النسق القيمي والأخلاقي لشباب الجزائر العاصمة في ظل احترام قوانين الإعلام الذي يضمن حرية التعبير فيها؟خاصة وأن الجزائر عملت منذ الاستقلال على اللحاق بركب التكنولوجيا الرقمية، والاستفادة من تكنولوجيا المعلومات، وهي تشترك في شبكة الأنترنت منذ مارس 1994، وكمرآة ممثلة للجمهور الجزائري رغم أنه لا يمكن لمجتمع صغير أن يعكس المجتمع الكبير، إلا أن الدراسات الحديثة جلها تعتمد على الوحدة الصغير لتحليل الوحدة الكبيرة مثل دراسة MORLEY ودراسة TAMAR LIEBES & KATZ ELIHU حول مسلسل «DALLAS»، وعليه أخذت عينة من شباب الجزائر العاصمة لتحليل المجتمع الكبير، واخترت الشباب لأنهم ممثلوا حاضر الأمة ومستقبلها، كما أنهم يمثلون الأغلبية إذ تقدر نسبة الشباب في الجزائر بـ 75% وهم الفئة الأكثر قابلية للتأثير في عقولهم وقلوبهم، وشبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك هي المرشح الأول للتأثير في هذه الشريحة كون وسائط الاتصال الجديدة أصبحت من الممارسات اليومية المفضلة لديهم، لما تحمله بين طياتها من خصائص إغوائية أكثر منها تربوية، مما جعل الشباب أكثر إقبالا على هذه الوسائط الجديدة، ومن شيم الشباب الإقبال على كل ما هو جديد، ومن خصائص وسائط الاتصال الجديدة السرعة المهووس بها شباب اليوم فهم غير صبورين ويمقتون الانتظار، ولهذا أصبح شباب اليوم يوصف بعدة صفات تعكس علاقتهم بكل وسيلة اتصالية جديدة، فبالأمس كانوا يسمون بجيل التلفزيون، واليوم يطلق عليهم «جيل الإبهام» أو «جيل السبابة» إشارة إلى الهاتف النقال، أو «الجيل الرقمي» تلميحا إلى الأنترنت[5]، وعليه فيما تتجلى آثار استخدام موقع شبكات التواصل الاجتماعي الفيسبوك على تشكيل النسق القيمي والأخلاقي لشباب الجزائر العاصمة؟ وكيف تعامل هؤلاء الشباب المستخدمون مع النسق القيمي الكوني انطلاقا من سياقه السوسيوثقافي؟

المطلب الثاني : تساؤلات الدراسة

ومن هنا ارتأينا تفكيك إشكاليتنا إلى تساؤلات فرعية كالتالي :

1. ما هي الخصائص السوسيوثقافية للشبكة الكوكبية؟
2. كيف تعامل الشباب الجزائري المستخدم مع الواقع الافتراضي الذي يتضمنه موقع شبكات التواصل الاجتماعي الفيسبوك في ظل احترام قانون الإعلام في الجزائر؟

3. ما هي آثار استخدام موقع شبكات التواصل الاجتماعي الفيسبوك على النسق القيمي والأخلاقي؟

4. ما هي نظرة الشباب إلى القيم والأخلاق التي تحملها الشبكة الزرقاء؟

5. ما الدور الذي لعبته هوية الشباب وانتماؤه السوسيوثقافي والقانوني في التعامل مع هذه الآثار؟

المطلب الثالث : المنهج المتبع وأدواته

➢ المنهج

يعرف Maurice Angersالمنهج بأنه: «مجموع الإجراءات والخطوات الدقيقة التي يتبناها الباحث من أجل الوصول إلى نتائج معينة»[6]، كما يعرف Morse المنهج المسحي بأنه: «منهج لتحليل ودراسة أي موقف أو مشكلة اجتماعية أو جمهور ما، وذلك بإتباع طريقة علمية منظمة لتحقيق أغراض معينة»[7].

ولهذا اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج المسحي الوثائقي بهدف مسح الأدبيات الخاصة بكل مفهوم من مفاهيم الدراسة مواقع شبكات التواصل الاجتماعي ، النسق القيمي والأخلاقي ، والشباب المستخدمون ، وهذا يمثل أحد أهم الخطوات التي تتطلبها دراستنا هذا من جهة، ومن جهة أخرى استخدمنا المنهج المسحي العيني الخاص الميداني لمعرفة الوضع الحالي والكيفية التي يستخدم بها الشباب الشبكة الزرقاء، والآثار التي تتركها على النسق القيمي والأخلاقي.

واستخدمنا المنهج المسحي التحليلي الذي يحاول أن يصف ويشرح لماذا توجد سلوكيات محددة في أوضاع مختلفة، وهذا من أجل الإجابة عن تساؤلات الدراسة من خلال تحليل نتائج الدراسة وفحص العلاقة بين متغيرات الدراسة والمتغيرات الديمغرافية.

كما اعتمدنا المنهج المسحي في مجال جمهور وسائل الإعلام، وبالخصوص مستخدم موقع شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك للتعرف على الخصائص المميزة لهذا المستخدم من جهة، ومن جهة أخرى لغرض إجراء دراسات قياسية لأثر ما تبثه الأنترنت من مواد ومضامين على جمهورها، وللتعرف على مدى الأثر الحاصل على مستواه[8].

واعتمدناه للدراسة التحليلية لمفردات الدراسة والمتمثلة في 201 مفردة من شباب الجزائر العاصمة ، ودراسة لخصائصها المادية ، والاجتماعية ، واللغوية ، والثقافية ، وهي من ناحية أخرى ، لاتجاهات دراسية حول العلاقات بين خصائص مفردات البحث، وحول أسباب الاختلافات بينها وخاصة التمايز في مختلف أنماط التفاعلات التي تحدثها أنظمة الاتصال الرقمية في أوساط مختلف المجموعات المحلية وفي علاقاتها بالاتصال الدولي الشامل الخاضع

لقوانين المجتمع.

- **أدواته** الاستمارة (الاستبيان)، الملاحظة المباشرة (المكشوفة)، الملاحظة الغير مباشرة (المستترة)، الاستجوابات.

1. **الاستبيان**

يعتبر الاستبيان من أدوات البحث الأساسية شائعة الاستعمال في علوم الإعلام والاتصال، إذ يستخدم للحصول على معلومات دقيقة لا يستطيع الباحث ملاحظتها بنفسه، لكونها معلومات تخص صاحبها فقط، والاستبيان في تصميمه أقرب إلى الدليل المرشد المتضمن لسلسلة أسئلة التي تقدم إلى المبحوث وفق تصور معين ومحدد الموضوعات، قصد الحصول على معلومات الخاصة بالبحث في شكل بيانات كمية تفيد الباحث في إجراء مقارنات رقمية أو في شكل معلومات كيفية تعبر عن مواقف وأراء المبحوثين من قضية معينة، قصد الحصول على معلومات تفيد تحقيق الأهداف المرجوة[9]، وقد ضم الاستبيان الذي صممناه أربعة محاور كانت كالتالي :

المحور الأول : محور البيانات الشخصية (الجنس، السن، المستوى التعليمي)

- **المحور الثاني** الآثار التي يتركها استخدام موقع شبكات التواصل الاجتماعي الفيسبوك على عينة من شباب الجزائر العاصمة.
- **المحور الثالث** نظرة الشباب المستخدم إلى ثقافة موقع شبكة التواصل الاجتماعي انطلاقا من سياقه السوسيوثقافي وأطره القانونية.
- **المحور الرابع** الدور الذي لعبته هوية الشباب وانتماؤه السوسيوثقافي والقانوني في التعامل مع القيم والأخلاق التي يحملها موقع شبكات التواصل الاجتماعي الفيسبوك.

كما اعتمدنا على الملاحظة كأداة ثانوية مكملة لإدراكنا مدى تحايل الجمهور المستخدم في أغلب الأحيان في الإجابة عن الأسئلة وهذا ما يحول للوصول إلى نتائج دقيقة، كما قمنا ببعض الاستجوابات بغية الحصول على نتائج علمية دقيقة هذا من جهة، ومن جهة فالملاحظة والمعايشة المباشرة لمجتمع البحث تساعد على تحليل سلوكيات الجماعات البشرية معتبرة في خصوصياتها، وتوضح تجارب كائنات بشرية بالشكل الذي يساهم انتماؤها إلى جماعات اجتماعية في تحديد هويتها، وللوصول إلى تأويل بعض المظاهر الثقافية التي تتقاسمها هذه الجماعات المحلية، خاصة في المجتمع الكوني، كما تساعد على تفسير التمثلات الثقافية وفهم الظواهر الثقافية.

المطلب الرابع : مجتمع البحث وعينته

أجرينا الدراسة في ولاية الجزائر على عينة من شباب العاصمة، بحيث وزعت الاستمارة على عينة البحث بطريقة قصدية ومنظمة، وحرصنا على توفير الظروف الملائمة لقراءة الاستمارة وفهمها، لأن الحرص على توفير الظروف الجيدة لفهم أسئلة الاستمارة أكثر أهمية من أي حرص على التنويع في المناطق والأماكن، وهذا من أجل خدمة أهداف البحث.

العينة قصدية وتتكون من مجموعة من الشباب ذكورا وإناثا الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و27 سنة وهو ما يتوافق تماما مع الشريحة المستهدفة في البحث وهم الشريحة الأكثر استخداما لموقع شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك، في الجزائر العاصمة، وتضم 201 مفردة.

أما بالنسبة للمتغيرات فوقع اختيارنا على الجنس والسن، والمستوى التعليمي، ففيما يخص الجنس مثلت الإناث 31.85% من العينة مقابل 68.15% للذكور، أما بالنسبة للسن مثلت نسبة 22% الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و19 سنة، والذين تتراوح أعمارهم بين 20 و23 سنة قدرت نسبتهم بـ 44.77%، أما الذين تتراوح أعمارهم بين 22 و27 سنة قدرت نسبتهم بـ 33.33%، أما فيما يتعلق بالمستوى التعليمي فقد شكل الأساسيون نسبة 22% من العينة، مقابل 44.77% من الثانويين، و33.33% من الجامعيين.

المبحث الأول : المقاربة النظرية للدراسة

المطلب الأول : خصائص مواقع شبكات التواصل الاجتماعي وموقع الفيسبوك

عرف بريس preece ومالوني كريشمار Maloney Krichmar مواقع الشبكات الاجتماعية على أنها مكان يلتقي فيه الأفراد والمؤسسات لأهداف محددة قد تكون تواصلية أو إعلامية، أو اقتصادية أو إشهارية، أو سياسية، أو ثقافية، ...، وهي موجهة من طرف سياسات تتضمن عدد من القواعد والمعايير التي يقترحها البرنامج.[10]

والأمر المهم في هذه الشبكات هي مسألة القدرة على التخيل والقراءة أو التأويل الأقرب للموضوعية لذات الصورة أو الفعل وأثره على الأفراد والنسيج الاجتماعي والنسق القيمي والأخلاقي، فعملية التداول تتجاوز إنغلاق المكان ووحدة الزمان، والاستخدام المعياري للشبكات الاجتماعية في خضم الكم الهائل من الأخبار والصور يسمح إلى حد ما بفهم عمل أشكال جديدة من المنظمات رغم تعدد التفسيرات والمواقف والآراء.

ويعتبر الفيسبوك الشبكة الزرقاء الأكثر استخداما كونه يعبر عن حركة اجتماعية وقيمية وأخلاقية وثقافية ودينية وسياسية، وليس مجرد أداة أو وسيلة للتواصل، إذ أصبح يسيطر على كل نواحي النشاط البشري الافتراضي على الشبكة العنكبوتية، إذ يتيح لمستخدميه وضع

صفحة شخصية عامة معروضة، ويتيح إمكانية تكوين علاقات شخصية مع المستخدمين الآخرين الذين يقومون بالدخول على تلك الصفحة الشخصية[11]، والتعرف على قيم وأخلاق صاحبه من خلال مملحه ومختلف منشوراته التي تعبر عن هويته وثقافتها وانتمائه.

المطلب الثاني : المداخل النظرية لمفهوم القيم والنسق القيمي

مفهوم القيم :

تعددت التعريفات حول هذا المفهوم مما أكسبه الكثير من الغموض، فهناك من يتجه إلى التحديد الضيق للقيم على أنها مجرد اهتمامات أو رغبات غير ملزمة للأفراد أو الجماعات، وهناك من يعطي تحديدا واسعا للقيم باعتبارها معايير تعبر عن الثقافة بمختلف أجزائها[12]، فهي جزء لا يتجزء من مفهوم الذات الفردية والجماعية، فهي التي تحدد السلوك الإنساني كونها تمثل قواعد ومعايير السلوك[13]، وتتصل القيم بمجموعة من المفاهيم كالأعراف والاتجاهات والمعايير إلا أنها تختلف معها في المضمون، كما أنه من المتفق عليه صعوبة قياس القيم ولكن يمكن التعرف إليها ووصفها من خلال سلوك الأفراد، رغم اختلاف تعريفها من باحث لآخر، وما نقصده بالقيم في هذه الدراسة تلك القيم المرتبطة بالدين الإسلامي وثقافة المجتمع الجزائري (السياق الثقافي والاجتماعي)، وتلعب القيم دورا هاما في تشكيل شخصية الفرد وتحديد أهدافه في إطار معياري صحيح، كما يمكن التنبؤ بسلوك صاحبها متى عرف ما لديه من قيم وأخلاق في المواقف المختلفة، وبالتالي يكون التعامل معه في ضوء التنبؤ بسلوكه.

النسق القيمي والأخلاقي:

يعرف النسق بأنه مجموع الأشياء المرتبطة مع بعضها البعض في شكل منظم ومنسق، فهو منظومة السلوك التي تعكس قيم الفرد وأخلاقه التي تتفاعل مع المجتمع.

والنسق القيمي والأخلاقي هو ذلك الشعور الجمعي الذي ينظم علاقتها مع غيره، ويستمد أصوله وجذوره من مصادر دينية، ومن ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه الأفراد كما أنه غير لاشعوري، فالدين هو مصدر القيم التي ترتفع بالفرد إلى تلك المكانة المعنوية، وتتجسد القيم في سلوك الفرد، فهو الأداة التي تجسد القيمة والأخلاق[14]، والقيم تتولد من النسق المعرفي والنسق الوجداني، إذ أن النسق القيمي والأخلاقي يمثل مجموعة من المعتقدات المنتظمة ويتصف بالثبات النسبي.، ويكون النسق القيمي والأخلاقي للأفراد في مواقع شبكات التواصل الاجتماعي ضمن الأطر القانونية لاستخدامها، وحرية التعبير مرهونة بها، فقد أثار موضوع الشبكات الاجتماعية عديدًا القضايا القانونية حول أخلاقيات مواقع شبكات التواصل الاجتماعي والجهة المنوطة بذلك إذا تم الاتفاق على مفهوم الأخلاقيات، وتم وضع أطر ومعايير حاكمة لها ولحرية التعبير ضمنها، إلا أن معالمها النهائية لم تتحدد بعد في قانون الإعلام الجزائري، إلا أنه ورغم هذا يقوم على حماية الحريات الخاصة للأفراد، واستخدامه في اطار عدم المساس

بالهيئات العامة، وبما يتوافق مع الأطر الدينية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري.

المبحث الأول : المقاربة الميدانية للدراسة

المطلب الأول : أثار استخدام موقع شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك على النسق القيمي الأخلاقي لشباب الجزائر العاصمة ضمن احترام القوانين

مازالت أبعاد آثار استخدام شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك على النسق القيمي الأخلاقي على المستخدمين في الجزائر بصفة عامة، وشباب الجزائر العاصمة بصفة خاصة غير واضحة المعالم، حيث تقضي كل يوم، بل في كل ساعة إلى آثار جديدة، تؤكد استحالة قدرتهم على التخلي عن خدماتها، فأكثر من نصف أفراد العينة من الشباب يستخدمونها بصفة دائمة ولأكثر من ثلاث ساعات والذين قدرت نسبتهم بـ 57.21% (انظر الملحق رقم 01)، فهذا الدخول السريع وغير المستأذن لشبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك في حياتنا جعلها جزء لا يتجزأ منا، وأصبحت بمثابة قارة متميزة بخصائصها الجوهرية أهمها عدم ماديتها، وانفلاتها من المفاهيم الجغرافية التقليدية، وحركية الحدود داخلها، وعلى هذا الأساس اكتسبت التكنولوجية الجديدة مصطلحات جلها متعلقة بالسرعة والشمول، نضرا لكونها غير ثابتة المعالم، ومازالت تعرف تطورات سريعة ومفاجئة[15]، إلا أن استخدامها دائما يكون في ظل احترام القوانين المتعلقة باحترام السيادة الوطنية وخصوصيات الأفرد.

يعتبر خروج مواقع شبكات التواصل الاجتماعي خاصة الفيسبوك خلال السنوات الأخيرة من احتكار الميدان الأكاديمي، والعلمي، وانتقالها إلى مجموع المؤسسات، والجمهور المستخدم، خطوة جديدة تميزت بالتبادل المتكافئ والانتقال الحر والمجاني للمعلومات، فمن رحم كل ذلك بدأ جنين المجتمع الرقمي يتكون في أحشاء هذه الشبكة، ويعتبر هذا المجتمع من أكبر إفرازات الثورة الرقمية عامة والأنترنت خاصة، تغير فيه حتى العالم الملموس إلى عالم افتراضي تذوب فيه كل الملموسات، وتنصهر على حدوده جميع العوائق الجغرافية والسياسية والثقافية[16]، ويجمع العارفون بميدان الإعلام والاتصال أن هذا التحول قلب كيان التاريخ تقلبا غير مسبوق، ووقفت فيه الأعراف الاجتماعية، والدساتير السياسية موقف العاجز عن التحكم في النظام الجديد وبسط معايير نظامية تعيد لها هيبتها، حيث بقي ذلك من ضرب الخيال في ظل التحرير الكبير للمعلومة التي امتلكت مفتاح حركية العالم دون منافس، هذا الانفجار المعلوماتي الذي شهده العالم والذي كان من أهم أعراضه ما يحلو لبعض المختصين تسميته بـ «الحمى الإلكترونية»، كان له الوقع الأكبر على الفرد والمجتمعات، إذ أن أغلب المبحوثين يستخدمونها لتسيير حياتهم الاجتماعية لما توفره من جهد وتكلفة وقدرة نسبتهم بـ 43.78%، بينما النسبة القليلة فتبحر عبره لأخذ السلوك وتقدر نسبتهم بـ 16.42% وهذا يدل بأن أفراد العينة منهم من يتأثر بالقيم الوافدة في المجتمع الشبكي ومنهم من لا يتأثر وهذا يعود لطبيعة التنشئة الاجتماعية، بينما 39.80% فمستخدمها لتمضية الوقت والترفيه عن النفس خاصة في ظل

تزايد المشاكل الاجتماعية المترتبة عن تزايد أوقات الفراغ واستفحال البطالة (انظر الملحق رقم (2).

خلقت الشبكة الزرقاء جمهورا جديدا منصهرا في خصائص الشبكة، إنه الجمهور الذي يعيش في عالم افتراضي لا مكان فيه للمجتمع الكلاسيكي الذي بدأت ملامحه تضمحل، ومن أهم الجوانب التي تركت فيه الشبكة الزرقاء أثارا جلية، الجانب القيمي الأخلاقي، فقد باتت تطرق أبواب كل مكان مهما تباعد، فامتدت جسور الحوار وتبادل المعلومات مع الثقافات الأخرى، وظهرت لأول مرة قناة ثقافية عالمية، تخترق الحدود، فالشبكة أصبحت جزء من الحياة السوسيوثقافية[17]، تتفاعل مع الأفراد والجمهور المستخدم بشكل لم تحققه أية وسيلة إعلامية أخرى، وهي تعرف يوما بعد يوم نموا سريعا في علاقتها بالمستخدمين لدرجة يصعب التكهن بمستقبل هذه الوسيلة الاتصالية والنتائج التي يمكن أن تصل إليها، وهي مكسب كبير لخدمة البشرية في المجتمع الحديث، المبني على النظام الالكتروني الرقمي، حيث فتحت المجال أمام التدفق الكبيرللمعلومات ووفرت لها المجال الملائم للتخزين والاسترجاع وكذلك التوزيع عن طريق شبكات اتصالية لمختلف القواعد البنكية وكذا الوسائط المتعددة، كل هذه المعطيات الجديدة أفرزت عالم ومجتمع جديد مبني على النظام الرقمي، فالانترنت مثال حي على التحام التقنيات الجديدة والحوامل وكذا الوسائط المتعددة، وهذه الأخيرة أصبحت تبرز على شكل رقمي، كما أن المصنفات الرقمية السمعية البصرية، السمعية الغنائية، وأخرى لا تتقلص بالضرورة لتكون على شكل حوامل خاصة كفيلم أو فيديو كما هو الحال في النظام التماثلي، هذا التقدم في الحوامل الرقمية أدى إلى إحداث ثورة انقلابية في كل المجالات، وعليه فإن أغلب أفراد العينة يرون بأنها بهذا أحدثت أثرا إيجابيا في حياتهم وقدرت نسبتهم بـ69.15%، ولعل من أهم آثار استخدام شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك بالنسبة لهم تتوافق مع النسق القيمي الأخلاقي وتساعد على نشر القيم الخاصة بالفرد والمجتمع لما توفره من السرعة وتقدر نسبتهم بـ27.87% وتأتي في المرتبة الثانية المجهولية وإخفاء الهوية والتي تمثل نسبة 20.91%، ونال المرتبة الثالثة تجاوز الحدود الزمكانية والذي قدر بنسبة 16.80%، وتلاها في المرتبة الرابعة الابتكار والإبداع وقدر بنسبة 13.11%، وفي المرتبة الخامسة إقامة علاقات اجتماعية وقدر بنسبة 11.06%، وجاء في المرتبة الأخيرة التحرر وقدر بنسبة 10.25% (انظر الملحق رقم 03)، بينما 25.87% فترى العكس فبالنسبة لها معظم مضامين الشبكة مواد مستوردة تخالف النسق القيمي والأخلاقي، وهي لا تمثل ولا تتوافق مع فطرتهم وقيمهم، خاصة المحتويات الإباحية والعدوانية، فبرامج الرياضة التي تقدم لهم، وإن كانت تقدم لملء فراغهم فإن معظم ما يقدم فيها من أنشطة لا يتفق مع الفكر السليم، فمعظم الألعاب العالمية، والمسابقات الدولية وضع فكرتها، وخططها، ونفذها، وأشرف عليها أفراد، أو جمعيات، أو منظمات لا تنتمي إلى مجتمعاتهم وبالتالي لا تعني بقيمهم، ولا يخفى أيضا حال معظم نجوم الرياضة العالمية في أخلاقهم، وسلوكهم من شرب المسكرات وتعاطي المخدرات، واتخاذ الخليلات، فكم نسمع

من أن فلان النجم العالمي متهم في قضايا مخدرات، أما قضايا الصديقات والخليلات فهي من الأمور العادية عندهم لأنها ليست ضد العادات والتقاليد التي شبوا عليها، فهذا النجم العالمي (مارادونا) كل الرياضيين يعرفون أنه قد أنجب طفلتين من صديقته قبل الزواج، ولا يخفى ما لهذا من أثر على أخلاق المعجبين والمعجبات بفنه الكروي، ولعل من أهم آثارها السلبية الهروب من الواقع الذي يمثل نسبة 33.83%، ويأتي في المرتبة الثانية الجنس والذي يمثل نسبة 25.37%، ونالت المرتبة الثالثة العنف والذي قدر بنسبة 14.92%، وتلتها في المرتبة الرابعة التفكك الأسري وقدر بنسبة 13.43%، وتلتها في المرتبة الخامسة العزلة وقدرت بنسبة 09.95%، وجاء في المرتبة الأخيرة الكسل وروح الاتكال وقدر بنسبة 02.49%، بينما 04.98% امتنعت عن الإجابة وذلك لأنها ترى أن الشبكة الزرقاء سلاح ذو حدين ومدى ايجابيته تتوقف على طريقة استخدامنا له والنتائج التي نرغب في الحصول عليها منه، فلكل شيء في هذه الحياة له إيجابيات وسلبيات (انظر الملحق رقم 04).

الشبكة الزرقاء خلقت جمهورا الكترونيا، جعلت منه جمهورا للواب ومواطنا للشبكة إذ جعل من الفيسبوك عمرانه الثقافي، كما منحته القدرة على التواجد الكلي في الزمان والمكان[18]، فهي تقوم بتوسيع نطاق العلاقات الثقافية عبر الوقت والمسافة والتعريف بمختلف القيم والديانات، كما أنها منحتهم القدرة على الاختيار، وجعلتهم أكثر تحررا وخرج من رحم ذلك في النهاية مجتمعات افتراضية تتكون من الناس المتعارفين فيما بينهم من خلال شبكات الاتصال، هذا الاتجاه هو الذي يقودنا إلى مجتمع ما بعد الحداثة، أين تذوب الحدود والطابوهات الثقافية لتصبح كيانات هلامية، فلم يشهد التاريخ انتشارا وتزاوجا سريعا لثقافات العالم كما شهده في عصر الثورة التكنولوجية، بمعية االفيسبوك حيث قدم هذا الأخيرة قنوات سريعة للاتصال، جمعت العالم بأسره أمام جهاز لا يتعدى قطره بضع سنتمترات، تمكن من خلق تنوعات ثقافية واجتماعية، وهذا يرجع إلى أن الشباب الجزائري بصفة عامة، وعينة البحث بصفة خاصة وجدت نفسها تعيش في كنف العولمة الثقافية، وتعاني من أزمة الهوية، إضافة إلى اختناقه من المشاكل الاجتماعية، ووجدوا في الفيبوك خير ملاذ لهم، وعليه فأغلب المبحوثين يتضايقون كثيرا في حال انقطع التياروهم يبحرون في عالمهم الافتراضي وقدرت نسبتهم بـ 57.21%.

وبهذا التحليل نكون قد وصلنا إلى الإجابة عن التساؤل المتمثل في ما هي خصائص موقع شبكات التواصل الاجتماعي الفيسبوك، ممارسة ومضامين، في المجتمع المعاصر؟ وما هي آثار استخدامها على النسق القيمي والأخلاقي لعينة الدراسة؟

المطلب الثاني : نظرة الشباب عينة البحث إلى ثقافة الشبكة انطلاقا من سياقهم السوسيوثقافي

تعتبر مواقع شبكات التواصل الاجتماعي خاصة الفيسبوك في الجزائر ووسيلة من وسائل الإعلام والاتصال مثلها مثل كثير من الوسائل الأخرى، ولعل ما يميزها عن غيره من وسائل الإعلام والاتصال التكنولوجية الأخرى هو مستوى التفاعل الذي يجعل من المستخدمين الذين ينتشرون في أماكن متباعدة بالقيام بإرسال واستقبال ما يشاءون من المعلومات، فعندما نتحدث عن جهاز الحاسب الآلي والاستخدامات الخاصة بالأنترنت، فإننا نتحدث عن علاقات تفاعلية بين المستخدمين مع بعضهم البعض من جهة، وبين المستخدمين وجهاز الحاسوب من جهة أخرى، فلقد أثر الفيسبوك على كثير من النواحي الاجتماعية في حياة المجتمعات الحديثة، فدخلت هذه التكنولوجيا حاملة معها جملة من التفاعلات السلوكية الثقافية المرتبطة بها والتي أسهمت وتسهم بشكل مباشر في ترك أثر على الفرد والأسرة والمجتمع وذلك بحكم كونها مظهرا من مظاهر التغير المادي الذي أصاب كثير من المجتمعات، فهذه التطورات والتقدم في مجال تكنولوجيا المعلومات أثرت على كيفية عمل الناس ومكان عملهم، ومقداره، ومع من يعملون ويتفاعلون، وعليه فالشبكة الزرقاء أثرت بشكل كبير على عملية التفاعل الفردي والجماعي داخل المحيط الأسري وداخل المحيط الاجتماعي للمجتمع الأكبر، وهذا ما يفسر أن أكبر عدد من المبحوثين يرون أن الفيسبوك شبكة تثقيف عالمية وقدرت نسبتهم بـ51.24%، إلا أن النصف الآخر من العينة انقسم بين من يرون أنها شبكة دعارة عالمية فبالنسبة لهم باتت شبكة التواصل الاجتماعي وما تحمله في طياتها من مواد خلاعية، وصور فاضحة تشكل خطرا كبيرا على شريحتهم وعلى نسقهم القيمي والأخلاقي، فالكثير منهم يستهويه الإبحار في الفيسبوك، باحثين على ما يثير شهواتهم، ويحرك غرائزهم، وهم يقضون في ذلك أوقات مديدة، تستنفد طاقاتهم الجسمية والروحية، وتوتر علاقاتهم الأسرية والمجتمعية وقدروا بنسبة 27.86%، وبين من يرون أنها شبكة عنف عالمية لما تضمه من صور العنف والألعاب الالكترونية العدوانية (انظر الملحق رقم 05).

إن الشباب جعلوا من موقع شبكة التواصل الاجتماعي ملجأ يهربون إليه من مشاكلهم التي ضاقوا بها وصاروا يبحثون عمن يشاركهم حلها، فكان العالم لديهم مثلما يحلو للبعض أن يصفه بالقرية، وأصبحت شيئا أساسيا في حياتهم، كونها ساهمت في انتشار الثقافة والمعرفة يتعلمون من خلالها الخبرة في فنون الحياة، كما أن الشبكة الزرقاء ليست تطورا للتكنولوجيا الرقمية فقط، بل هي تطور علمي وفكري واجتماعي، والمسؤولة الأولى عن القفزة الهائلة في العلم والمعرفة، والعلاقات الاجتماعية ومجمل الاتصالات، ولقد ساعد على إنشاء علاقات بين الشباب، فبعضهم من خلال مواقع الدردشة تجاور قاعدة الأصدقاء الفرديين والمكان والزمان، كما ساعدت على انتشار الثقافات واللغات المختلفة، واستطاعوا أن يستفيدوا من المجتمع الشبكي في جميع المجالات في كل ما هو جديد ومفيد لهم، وهذا ما جعلهم يفضلون تسيير

حياتهم الاجتماعية من خلال العالم الافتراضي وقدرت نسبتهم بـ 56.22%، فهم من خلالها يتعلمون ويعملون عن بعد، كما يتعالجون ويطلبون الاستشارات الطبية من أطباء أخصائيين دون تكبل عناء السفر، ويسافرون إلى بلدان غير بلدهم ويزورون متاحفها ومعالمها الآثارية دون أن يبرحوا أماكنهم، ويعملون وهم قابعون في أماكنهم، كما مكنتهم الشبكة العنكبوتية من شراء منازل وسيارات دون الحاجة لوسيط مما وفر المال والجهد، بالإضافة إلى هذا أصبحوا يتسوقون الكترونيا ويشترون ما يرغبون فيه دون تعب، فأغلب المبحوثين يشترون ملابسهم وكل ما يحتاجونه من مأكل ومشرب وأثاث من خلال الإشهار عبر الفيسبوك وقدرت نسبتهم بـ 48.26%، فالأنترنت تقدم المعلومات والرسائل الاتصالية الشاملة والوافية عن أي منتوج نريده وفقا لاحتياجاتنا المعرفية، كما تغيرت بفضلها أساليب التعامل فالأنترنت أصبحت تكنولوجية منزلية لا يمكن الاستغناء عنها لما لها من آثار سوسيوثقافية على العلاقات الاجتماعية الأسرية وعلى سلوكيات الأفراد وخاصة على سلوكيات الشباب جعلها أليفة موالية لإشباع الاحتياجات الإعلامية والترفيهية والتثقيفية والتعليمية والاجتماعية لجمهورها، وهذا ما جعلهم قادرين على التحكم فيها وإدماجها كأدوات عادية وضرورية في ممارساتهم اليومية، وبهذا أصبح المجتمع الكترونيا، والمنزل منزلا الكترونيا، وعليه فأغلبهم يفضلون قضاء وقتهم في الشبكة فمن خلالها يسيرون حياتهم السوسيوثقافية بأقل جهد وبأقل تكلفة وينشرون قيمهم، وفيها يلتقون بأصدقائهم البعيدين عنهم ويقضون معهم أفضل الأوقات، كما أنهم يتواصلون مع عائلاتهم في المهجر، وحتى داخل البلاد، وقدرت نسبتهم بـ 44.28%، كما أن أغلبهم يرون بأن الشبكة الزرقاء غيرت حياتهم للأحسن وقدرت بنسبة 60.20%، إلا أنه ورغم هذا فضل البعض الآخر تسيير حياتهم في العالم الواقعي كونهم لا يستطيعون التخلي عن الحياة التي عهدوها مهما كانت الصعوبات التي تعيقهم وقدروا بنسبة 41.29%، بينما مثلت نسبة 02.49% الذين لايهمهم كيفية تسيير حياتهم فالمهم أنهم يسيرونها.

كما بينت نتائج الدراسة أن أغلب المبحوثين يرون بأن شبكة الفيسبوك غيرت حياتهم للأحسن وقدرت بنسبة 60.20% لما قدمته من خدمات تسهل الحياة، أما نسبة 10.45% ترى العكس، و29.35% ترى بأن شبكة الفيسبوك لم تغيرهم لا للأحسن ولا للأسوأ لأنهم متشبثين بأصالتهم وبما تربوا عليه، وما تعلموه، فبهذا يملكون القدرة على دحض ما تحمله من قيم ومعايير، فالسياق الاجتماعي الذي ينتمون إليه يغير من قوة التأثير، ذلك أن الفيسبوك ليس له قوة إقناعية كبيرة لتغيير عقولهم، وذلك بسبب عوامل انتقائية تؤثر على فعاليتها وتتمثل في التعرض الانتقائي، الإدراك الانتقائي والتذكر الانتقائي، كما أن التفسيرات تختلف باختلاف مضامين الشبكة الزرقاء الفيسبوك من جهة، ومن جهة أخرى تختلف المعاني والتفسيرات حسب الفروقات الفردية والاجتماعية، وحسب البيئات الثقافية، فالفيسبوك أثر بشكل كبير على حياة الفرد وسلوكه وطريقة اتصاله بالآخرين، إلا أن شبابنا يرتبط ارتباطا وثيقة بالمعايير الاجتماعية والسلوك الاجتماعي وقيم مجتمعه وأخلاق دينه (انظر الملحق رقم 06).

الشبكة الزرقاء الفيسبوك ورغم أهميتها غير قادرة على مساعدة الشباب على الابتكار والتجديد والإبداع، حيث أن أغلب المبحوثين يرون أن المجتمع الشبكي لم يساعدهم على ذلك وقدرت نسبتهم بـ 53.23% وهذا لأن الوسيلة ليست هي التي تساعدهم على الإبداع، فالابتكار ينبع من قدراتهم العقلية، فالشباب العربي اليوم يعمل على تقديم البديل الملائم لكافة رموز الثقافة الأجنبية التي يحرم منها، فعقولهم ليست عاجزة عن إبداع هذا البديل في حال توفر البيئة الملائمة، وذلك ضمن حدود شريعتهم الإسلامية، وأعراف مجتمعهم وأخلاقياته، بينما نسبة 46.77% يرون العكس، وذلك أنها تحوي على برنامج يعنى بالمضامين الإبداعية الرامية إلى تعزيز الإبداع والابتكار في مجال إنتاج البرامج والمقالات ذات الصلة بحياتهم المحلية في الأنترنت.

تقريبا كل أفراد العينة يرون أن موقع شبكات التواصل الاجتماعي غير قادرة على جعلهم مستهلكين فقط ومتلقين سلبيين وقدرت نسبتهم بـ99.00% فكل قضية مقدمة لا تأتي من الفراغ فهي تدخل في إطار القيم، المعتقدات الخاصة بهم، وبالتالي فمهما كانت قوة الشبكة الزرقاء، فانتشارها يرتبط بإمكانياتها تجاه الأفراد المستخدمين لها من خلال الوقت الشخصي الذي يخصصونه للإبحار عبرها في الفضاء الاجتماعي، فاستخدامهم مرتبط بالظروف المحيطة بهم، فالصيرورة التاريخية لكل فرد تخلق لديه نماذج تعبيرية خاصة به، لذا نجد أن أي جمهور في أي حقبة زمنية كانت ينتج أشكالا تعبيرية مرتبطة بثقافته والتي تضمن استمراروجوده وتهيكله وتضعه في الظروف الملائمة لمعيشته، وهو الذي يولد النماذج الاجتماعية الثقافية الخاصة به، فالسلوك الإنساني ميزته الخاصة أنه غير ثابت ولا يميل إلى الاستقرار، وعليه لا يمكن لهم أن يغيروا سلوكهم بمجرد سماعهم لتصريحات موعضية أو إعلانات أخلاقية لا تتناسب وقيمهم الدينية، وبالتالي فهم ليسوا بسلبيين، بينما القلة القليلة والتي تقدرنسبتهم بـ01.00% يرون أن الشبكة قادرة على جعلهم مستهلكين ومتلقيين سلبيين.

يظهر من خلال الاستنتاجات المتوصل إليها اختلاف في الرأي بين المبحوثين من حيث الجنس والسن والمستوى التعليمي وخاصة مكان السكن فلكل نظرته حسب انتماؤه، فموقع شبكات التواصل الاجتماعي تتعامل وتتوجه إلى جماهير مختلفة، وعلى أساس ما تقدم ذكره قمنا بالإجابة عن السؤال المتمثل في ما هي نظرة أفراد العينة إلى ثقافة الشبكة الزرقاء انطلاقا من سياقاتهم؟ وهل عملت على جعل المستخدم الجزائري مبدع أم مجرد مستهلك؟ وكيف ذلك؟

المطلب الثالث : الدور الذي لعبته هوية الشباب في التعامل مع الآثار السوسيوثقافية لموقع شبكات التواصل الاجتماعي الفيسبوك

القيم والتقاليد هي نتاج وعي المجتمع بذاته، وبالتالي فإنها تحتاج إلى وقت طويل، ومؤثرات داخلية وخارجية قوية كي يطلها التأثر، ولا يمكن للفيسبوك اختصار كل ذلك، وترويضها حتى وإن كانت تمتاز بالجمود، وحتى وإن كان في مقدورها أن تحطم تلك العادات فلن يسمحوا بذلك وهذا ما أكده أغلب المبحوثين وقدروا بنسبة 98.51%، فرغم أن الشبكة

الزرقاء الفيسبوك تشير إلى مستوى عالمي وتخترق الحدود القومية بدمج وربط الجماعات والتنظيمات في توليفة جديدة من الزمن والفضاء جاعلة من العالم في الواقع والممارسة أكثر ترابطا، كما أنها تفترض الابتعاد عن الفكرة السوسيولوجية الكلاسيكية للمجتمع بصفته نظام محكم الحدود وتبديلها بمنظور يركز على تنظيم الحياة الاجتماعية عبر الزمان والفضاء، وهذه المظاهر الزمانية والفضائية الجديدة التي ينتج منها انضغاط المسافات ومقاييس الزمن هي من الجوانب الأكثر أهمية للفيسبوك التي تؤثر في النسق القيمي والأخلاقي للشباب، إلا أن شبابنا على اختلاف جنسهم مستواهم التعليمي وموقعهم بقوا متمسكين بتقاليد مجتمعهم كونها الهوية التي تميزهم عن الأجناس الأخرى، بينما القلة القليلة ترى العكس وتقدر نسبتهم بـ 01.49%، وعليه نستنتج أن الشباب عينة الدراسة رغم التطور الهائل الذي أحدثته الشبكة الزرقاء إلا أنه لا يزال يحافظ على خصوصيته الثقافية حاله حال كل الفئات الاجتماعية في كل الدول النامية[19] التي تتصرف على أساس ما تتعلمه من مجتمعها أنظر الملحق رقم 07، 08).

إن نسبة 88.06% من أفراد العينة وهي نسبة الأغلبية ترى بأن الشبكة الزرقاء الفيسبوك قادرة على تنمية الثقافة المحلية، فالعالم الافتراضي بات اليوم عامل لبناء الثقافات المحلية وتعزيز الهويات الثقافية كما أنها تعمل على خلق ثقافات مشتركة، فهي لا تهدم الثقافات المحلية ببساطة، وعليه أصبحت تصور كأسلوب كامل للحياة يتسم بأنه متكامل ليس له حدود، فبفضلها لم تعد الهويات محدودة ومقيدة بأماكن معينة وإنما أصبحت تتخطى الحدود الموضوعة من خلال هجرة الأشخاص والنقل الإليكتروني للأفكار والصور، وترى آنج Ange أنه في النظام العالمي المتكامل بصورة متزايدة لا يوجد شيء اسمه الهوية الثقافية المستقلة فكل هوية يجب أن تعرف نفسها وتحدد موقعها في إطار علاقتها بالأطر الثقافية التي يقرها النظام، فالعصر عصر الشبكة كونها تضم كل ثقافات العالم، فهي خريطة ممتدة المساحات إلى كل الاتجاهات بطرق واسعة، تشمل مدن صغيرة ومراكز حضرية بمرتفعات وسهول، وثمة مناطق لم تكن لتكتشف لولا الشبكة الأخطبوطية، وموقع شبكة التواصل الاجتماعي الفيسبوك يحترم الفروقات السوسيوثقافية والنسق القيمي والأخلاقي لكل المجتمعات، فهي تعترف بالتعدد الثقافي باعتباره مكونا أساسيا للثقافة المدنية العالمية الناشئة التي تستوجب أخلاقيات وقيما عالمية، فهي ساهمت بشكل كبير في عولمة المحلي وعالمية المحلي لكونها تعكس الهويات ويظهر هذا بوضوح من خلال مسألة اللغة وهذا ما أشرنا إليه ، بينما 11.94% ترى العكس (انظر الملحق رقم 08).

إن أغلب الشباب الجزائري في هذه الفترة العمرية (16-27) يعيش بين أهله، والمجتمع هو المسؤولة عليهم في هذه المرحلة، فالآباء والأمهات والمؤسسات الاجتماعية، وكل المشاركين في التربية والتوجيه مكلفين بشيء واحد هو الإبقاء على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وعدم تبديلها، أو الانحراف بها، فما نشاهده ونعرفه في شبابنا ذكورا وإناثا، هو من الأمور التي نقلها الشركاء في التربية، الآباء، والأمهات، والمدرسين والمدرسات، فهم يعيشون داخل بيئات ثقافية

واجتماعية يتشربون ما فيها من قيم وعادات وأخلاق وسلوك، فإن كانت تلك القيم والعادات والأخلاق والآداب والسلوكيات سوية، مستمدة إطارها الفكري، ومحتواها من الدين وقيم المجتمع، فإن الأبناء ينشئون أسوياء مهتدين، فالشباب داخل الأسر، وفي المدارس بمختلف مراحلها يخضعون لأنواع متعددة من برامج التربية والتعليم والتثقيف التي تسهم جميعها في تحقيق التنشئة الاجتماعية لهم، ليتكيفوا مع مجتمعهم، وقدرقدرت نسبة أصحاب هذا الرأي بـ44.78% وهم الذين يتصرفون في الحياة اليومية على ما تتعلموه في المجتمع، ونسبة 39.30% وهم الذين يتصرفون على طبيعتهم وفطرتهم، بينما نسبة 15.92% فتتصرف على أساس ما تتعلمه من الفيسبوك فهي بالنسبة لهم ظاهرة حضارية فيه العديد من الإيجابيات فهي تجمع الشباب على أسس مشتركة وهي تحمل معها مزايا تمازج الثقافات وسهولة التواصل العلمي والثقافي والاستفادة من تجارب الآخرين وخبرتهم فهي تمنحهم الحرية في التواصل الإنساني، وبهذا نكون قد أجبنا عن التساؤل المتمثل في ما الدور الذي لعبته هوية الجمهور الشاب وانتماؤه السوسيوثقافي في التعامل مع هذه الآثار السوسيوثقافية على النسق القيمي والأخلاقي؟ ومدى تمسكه بهذا النسق.

الخاتمة:

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة معالجة ظاهرتين رئيسيتين في المجتمع المعاصر وهما النسق القيمي والأخلاقي للشباب ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي خاصة الفيسبوك في ظل احترام القانون، فالشباب هم عماد كل أمة وسبيل نهضتها، وهم القوة البناءة في سلمها، ووقود دفاعها عن نفسها، وهم أمل مستقبلها بما يمتلكونه من قيم وأخلاق، وهذا ما أكده السيد عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية في قوله: «الشباب اليوم هم جنرالات المعركة المقبلة وقادتها ومحددو نتائجها، لقد بات عليهم من الآن فصاعدا القيام بدور محوري في معركة الدفاع عن الأمة وحضارتها وقيمها وأخلاقها»، وفي مقابل ذلك هم الهدف الذي يصوِب الأعداء سهام مكرهم للنيل منهم، وأسلحتهم في ذلك ووسائلهم متعددة، وأخطرها الإعلام ، الذي تطور في هذا العصر بخطوات متسارعة مذهلة، وغدت وسائله - من صحافة وإذاعة وتلفاز وكتاب ومسرح، وأخيراً الأنترنت (مواقع شبكات التواصل الاجتماعي)- هي القوة المهيمنة على عقولهم وأفكارهم، والمؤثرة على نسقهم القيمي والأخلاقي، مما جعل المشرع في القانون الجزائري يكفل حقوقهم التي تحميهم، وتضمن حقه في حرية التعبير وفق المادة 50 عبر مختلف الوسائل في الدستور الجزائري لسنة 2016 .

ورغم أن مواقع شبكات التواصل الاجتماعي خاصة الفيسبوك لم يكن الحديث عنها لسنوات مضت بالقوة التي هو عليها اليوم، فقد بدا للكثيرين في حينه أن الأمر لا يعدو كونه ثورة سريعة، سرعان ما تخمد جذوتها، لتعود الحياة إلى مسارها الطبيعي المعتمدة على الورقة والقلم، لكنها تركت تجليات وأثرا سوسيوثقافيا بالغا على النسق القيمي والأخلاقي وكانت فئة

الشباب هي أكثر الفئات التي تفاعلت وتأثرت معها انطلاقا من سياقها السوسيوثقافي، فرغم قوتها البالغة إلا أن من الشباب المستخدمون لم تأثر على نسقها القيمي والأخلاقي بالسلب، فقد يتأثرون بالمكولات والمشروبات، وحتى اللباس إذ أن الفتيات قد يلبسن التنورات القصيرة، والشباب يضعون ربطات العنق، إلا أنهم لا يقبلون بعضهم في الشارع، فبرغم أن الجمهور الشباب المستخدم أصبح منخرطا بصورة متزايدة في شبكات تتجاوز بكثير حدود مكانه المادية، إلا أن القيم والمعاني المرتبطة بالمكان والدين تظل هامة.

وبعد تحليل نتائج الدراسة الميدانية استنتجنا أن استخدام الشبكة في مجتمعنا بدأ يأخذ منحنيا خاصا، وبدأ يتجه في طريقه للتأثير على البناء الاجتماعي للشباب الذي بدأ باستخدامها بشكل متزايد ومطرد، فدخلت هذه التكنولوجيا من أوسع أبوابها في مجتمعاتنا المحلية حاملة معها بعض من الآثار السوسيوثقافية والنفسية كنتيجة محتمة فرضتها عملية التفاعل بين السلوك الاجتماعي والتكنولوجيا، إلا أنها ليست في مجملها سلبية، فقد مكنت الشباب في ذات الوقت من نشر قيم مجتمعه وأخلاق دينه.

فلقد تناولنا بالتحليل التفاعل بين التكنولوجيا والسلوك الاجتماعي، إذ أن هناك علاقة متبادلة داخل ثقافة المجتمع بين الأجزاء والعناصر المكونة له، فالشبكة تلاقيها استجابة ثقافية محددة، وعليه تتم عملية تأثر وتأثير متبادلة بين التقنية المستخدمة والسلوك الاجتماعي، فمحتويات الفيسبوك هي نتاج اجتماعي بقدر ما هي عملية اجتماعية مكثفة ذات شمولية قادرة على استقطاب المستخدمين مهما كانت انتماءاتهم، كما أن استخدام الفيسبوك يكون في ظل أولويات اجتماعية وثقافية بالدرجة الأولى وهذا ما سينعكس على المجتمع ككل.

وهذه الدراسة لا تعني تحليل أثر استخدام الفيسبوك على النسق القيمي والأخلاقي للشباب من زاوية محاسنه ومساوئه فقط، بل يتجاوز ذلك إلى تحليل طبيعة السياق السوسيوثقافي للشباب المستخدم ودوره في التعامل مع وسائط الإعلام والاتصال الجديدة، فمواقع شبكات التواصل الاجتماعي والشباب المستخدم لا يمكن دراسة العلاقة بينهما خارج سياقاتها المجتمعية، فالتكنولوجيا لا يمكن أن تكون نموذجا اجتماعيا ثقافيا خارج فعل الجمهور الذي لا يمكنه الانسلاخ عن انتمائه السوسيوثقافية ، فجمهور الشباب متباين ومختلف باختلاف تركيباته الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية .

ومواقع شبكات التواصل الاجتماعي خاصة الفيسبوك واقع لا يجدي معه أسلوب الرفض حسب اجابات المبحوثين، فهو يشمل جوانب حياتنا، وأصبح حقيقة نعيشها كل يوم، فلا يسعنا أن نعتقد بأن تضييق الخناق على قنوات الوصل بين ثقافتنا وأي ثقافة أخرى وافدة سيكون حلا ناجعا، فلم يعد هناك مجال بعد اليوم للانعزال والتقوقع، كما لا يصح في المقابل إطلاق العنان للانفتاح والتحرر، لذلك نحن مندمجون معها رضينا أو أبينا، إذ لا يمكننا رفض مضامينها السوسيوثقافية، إلا أنها لا يمكن أن تكون بديلا عن مؤسسات التنشئة الاجتماعية

كالأسرة والمدرسة والمسجد والجماعة الأولية، فالشباب يتفاعلون في علاقاتهم الاجتماعية وفق ما تمليه عليهم البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها.

الهوامش:

1. هانس، بيترمارتين، هارالد شومان، فخ العولمة، ت. عدنان عباس علي، ، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص. 19.

2. Information Economy, e- commerce and development. « united nations conference on trade and development », united nation: Report 2005, p. 51.

3. Information Economy, the development perspective. « united nations conference on trade and development », united nation: Report 2006, p. 68.

4. Kiven Robins, tradition and translation-national culture in its global context, Eds. Enterprise and Heritage1991 ,-, p..40 ,39

5. Loïc Hervouet, L'image des jeunes dans les médias, Paris, 2000, p..32 ,29

6. موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، ت. بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص. 98.

7. محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي: المفاهيم، المناهج، الاقترابات، والأدوات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1997، ص. 99.

8. أحمد بن مرسلي، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 4، 2010، ص. 290.

9. نفس المرجع، ص. 277.

10 wasinee kittiwongvivat, pimonpha rakkanngan, facebooking your dream, master Thesis, 2010, p20:.

11 كاتب سعود صالح، الإعلام الجديد وقضايا المجتمع: التحديات والفرص، المؤتمر العالمي الثاني للإعلام الإسلامي: جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 2013، ص: 10.

12 ضياء زاهر، القيم في العملية التربوية، دار العبيكان للتشر والتوزيع، مصر، مصر، 1996، ص 10.

13 السعيد بومعيزة، أثروسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب: دراسة استطلاعية بمنطقة البليدة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، الجزائر، 2006، ص 141.

14 عبد الرحمن عزي، الثقافة وحتمية الاتصال: نظرة قيمية، المستقبل العربي، العدد 295، 2003، ص 15-34

[15] نصر الدين لعياضي، الاتصال والإعلام والثقافة: عتبات التأويل، دار الثقافة والإعلام، الشارقة، 2015، ص 14

[16] بارني دارن، ت. أنور الجمعاوي، المجتمع الشبكي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سلسلة ترجمان، بيروت، 2015، ص49-53.

[17] Danah Boyd, Digital youth research kid's informal learning with digital media. Final reports: friendship. Berkeley, http://digitalyouth.ischool. berkeley.edu/book-friendship, 200712.06.2014.22:23/ /

[18] قسايسية علي، المنطلقات النظرية والمنهجية لدراسات التلقي-دراسة نقدية تحليلية لأبحاث الجمهور في الجزائر-(2006.1995)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، الجزائر، 2007، ص 49- 50

[19] Carmen Gomez Mont, Technologies de la communication et tradition sociale dans communautés indigènes du

Maxique, 2007, p 217.

الملاحق:

الملحق رقم (01) يوضح عادة الإبحار عبر موقع شبكات التواصل الاجتماعي الفيسبوك

التكرار والنسبة عادة الإبحار عبر الفيسبوك	التكرار	النسبة
دائما	115	57.21
أحيانا	53	26.37
نادرا	33	16.42
المجموع	201	100

الملحق رقم(02) يبين توزيع سبب استخدام الأنترنت حسب الجنس

التكرار والنسبة سبب الاستخدام	ذكر		أنثى	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
تمضية الوقت	46	33.58	34	53.12
تسيير الحياة الاجتماعية	71	51.82	17	26.56
اخذ السلوك	20	14.60	13	20.31
المجموع	137	100	64	100

الملحق رقم (03) يبين آثار استخدام الفيسبوك الايجابي على النسق القيمي والأخلاقي حسب السن

التكرار والنسبة آثار استخدام الشبكة الايجابي على النسق القيمي	[19 - 16]		[23 - 20]		[27 - 24]	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
الابتكار والإبداع	12	14.12	14	14.14	06	10.00
السرعة	14	16.47	32	32.32	22	36.67
تجاوز الحدود الزمكانية	16	18.82	13	13.13	12	20.00
التحرر	09	10.59	10	10.10	06	10.00
إقامة علاقات اجتماعية	11	12.94	12	12.12	04	06.67
المجهولية وإخفاء الهوية	23	27.06	18	18.18	10	16.67
المجموع	85	100	99	100	60	100

الملحق رقم (04) يبين يبين آثار استخدام الفيسبوك السلبية على النسق القيمي والأخلاقي حسب المستوى التعليمي

التكرار والنسبة آثار استخدام الفيسبوك على النسق القيمي	أساسي		ثانوي		جامعي	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
العنف	09	20.45	11	12.22	10	14.93
الجنس	11	25.00	21	23.33	19	28.36
العزلة	04	09.09	08	08.89	08	11.94
الكسل وروح الاتكال	00	00.00	02	02.22	03	04.48
التفكك الأسري	10	22.73	10	11.11	07	10.47
الهروب من الواقع	10	22.73	38	42.22	20	29.85
المجموع	44	100	90	100	67	100

الدول رقم (05) يبين نظرة الشباب عينة الدراسة للفيسبوك

التكرار والنسبة نظرة الشباب للفيسبوك	التكرار	النسبة٪
شبكة دعارة عالمية	56	27.86
شبكة عنف عالمية	42	20.90
شبكة تثقيف عالمية	103	51.24
المجموع	201	100

جدول رقم (06) يوضح الكيفية التي غيرت بها الشبكة الزرقاء حياة الشباب

التكرار والنسبة الكيفية التي غيرت بها الشبكة الزرقاء حياة الشباب	التكرار	النسبة
للأحسن	121	60.20
للأسوأ	21	10.45
لم تغير	59	29.35
المجموع	201	100

الجدول رقم (07) يبين إن ما كانت ما يحمله الفيسبوك من مضامين سوسيوثقافية تقضي على ما تعلمه الشباب من قيم وعادات مجتمعهم حسب الجنس

التكرار والنسبة قدرة مضامين الفيسبوك على القضاء على ما تعلمه الشباب من قيم المجتمع	ذكر		أنثى	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
لا	134	97.81	64	100
نعم	03	02.19	00	00.00

الملحق رقم (08) يبين توزيع أساس التصرف في الحياة حسب السن

التكرار والنسبة أساس التصرف في الحياة	[19 - 16]		[23 - 20]		[27 - 24]	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
على ما تتعلمه من الفيسبوك	15	34.09	17	18.89	00	00.00
فطرتك وطبيعتك	16	36.36	26	28.89	37	55.22
على ما تتعلمه من المجتمع	13	29.54	47	52.22	30	44.78
المجموع	44	100	90	100	67	100

الملحق رقم (09) يبين قدرة الفيسبوك على تنمية الثقافة المحلية حسب المستوى التعليمي

التكرار والنسبة قدرة الفيسبوك على تنمية الثقافة المحلية	أساسي		ثانوي		جامعي	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
نعم	44	100	77	85.55	56	83.58
لا	00	00.00	13	14.45	11	16.42
المجموع	44	100	90	100	67	100